



## الفاعل المحلي والتنمية

الطالبة الباحثة في سلك الدكتوراه منية خالي عيسى

ضمن تكوين: إعداد المجال والتنمية التربوية

الدكتور المشرف على تكوين دكتوراه: ابراهيم حمداوي

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ابن طفيل، القنيطرة

المغرب

### تقديم:

لاشك أن الفاعل الديني كان ويزال يلعب دورا هاما في المجتمع المغربي لاعتبارات متعددة: يقوم بأدوار التنشئة الدينية في كثير من الدول بما فيها دول المهجر (كأروبا و أميركا). يظل الفاعل الديني بهذا المعنى فاعلا أساسيا في المغرب، ويمثل أحد العوامل الأساسية في التنمية المستدامة والتنمية المحلية. يشير المفهوم إلى الأفراد والمجتمعات والمؤسسات التي تتخذ دورًا فاعلاً في تحقيق التغيير وتنمية المجتمعات على المستوى المحلي، سواء كان ذلك في المدن أو القرى أو الأحياء. يتجلى دور الفاعل المحلي في مختلف المجالات مثل: الاقتصاد والبيئة والثقافة والتعليم والصحة وغيرها.

يعتمد الفاعل المحلي على الشراكة والتفاعل مع المجتمع المحلي، حيث يسعى لتحفيز المشاركة المجتمعية وتعزيز الشعور بالانتماء والمسؤولية الاجتماعية. يتخذ الفاعل المحلي مبادرات مبتكرة ومستدامة لمواجهة التحديات المحلية وتحقيق التنمية المستدامة، ويسعى لتعزيز التنمية الشاملة والمتوازنة للمجتمع.

من أمثلة الفاعلين المحليين يمكن ذكر الجمعيات الخيرية، والمنظمات غير الحكومية، والمبادرات الشبابية، والشركات الاجتماعية، والحكومات المحلية، والقيادات الدينية والثقافية، وغيرها. جميعها تلعب أدوارًا مهمة في بناء المجتمعات وتعزيز التنمية المحلية.

باختصار، يمثل الفاعل المحلي العمود الفقري للتنمية المحلية، ويعمل كوسيلة فعّالة لتحقيق التغيير الإيجابي والمستدام في المجتمعات على المستوى المحلي.

هذا الأمر سيسوقنا إلى العودة إلى التاريخ خاصة تاريخ المجتمع المغربي لمحاولة التعرف على الفاعل الديني التقليدي (الفقيه، الشيخ، والولي الصالح...) وأدواره المختلفة.



## الخور الأول: الفاعل الديني في علاقته بالسلطة والسياسة

### 1 - تحديد الفاعل

في ملاحظتنا لنظريات الكلاسيكية لروادها إميل دوركايم و اوغست كونت... غيبوا فيها الفاعل و ركزوا على المجتمع من خلال دراساتهم لضمير الجمعي و التضامن الاجتماعي فطرحت فكرة الفرد وغيبت مكانة الفاعل وانكب اهتمامها على المجتمع والسلوك الجمعي فكلما كثر الحديث عن المجتمع قل الحديث عن الفاعل، بظهور عوامل جديدة كالحرية و الفردانية جعلت من ألان تورين يعيد صياغة نظريات جديدة حتمت على ضرورة الاهتمام و التفكير في الذات و الفرد و تجاوز ماهو عامي إلى ماهو ذاتي والانطلاق من الأنا بدل الذات و اعتبار أن الفاعل هو كسلطة لتغيير و قدرته على التفاعل في المجتمع فهو يتشكل تدريجيا داخل عملية التفاعل وله مجموعة من المهام و الأدوار.

### مفهوم الدين لغة واصطلاحا

الدين لغة: هو كلمة الدين بكسر الدال المشدود ومأخوذة من الفعل الثلاثي بمعنى أطاع وخضع واستسلم.

تعريف الدين اصطلاحا (الإسلامي)

فهو الخضوع التام إلى الله سبحانه وتعالى وفق ما جاءت به جميع الرسالات السماوية بداية من ادم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ويعتبر الدين الإسلامي هو من نجي من التحريف.

### تصورات نظرية حول الدين

#### رؤية دوركايمية:

ونتحدث معه عن الظاهرة الدينية في كتابه الأساس (الأشكال الأولية للحياة الدينية) الذي ألفه سنة 1912 متأثرا بذلك باوغست كونت وسبانسر والتأثر الكبير ب سميث، كما أشار في كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) إلى قاعدة الإكراه والإلزام معتبرا أن الظاهرة الدينية توجد قبل الأفراد وبالتالي تمارس عليهم الخضوع والامتثال لها وتفرض عليهم وهي سابقة عنهم.

فقد عرف إميل دوركايم الظاهرة الدينية في كتابه (الأشكال الأولية للحياة الدينية) ميز فيه بين المقدس والمدنس بحيث أن جميع العقائد الدينية المعروفة سواء كانت بسيطة أو مركبة تشترك في خاصية متشابهة حيث تفترض تصنيف ثنائيا يقسم الأشياء الواقعية أو المثالية التي يمثلها الناس، إلى صنفين أو نوعين متعارضين يميلان في الغالب أسماء متمايزة قريبة جدا من مفردات المقدسة والديوي.<sup>1</sup>

إن هذه العقائد تعمل على توحيد كل الأفراد الذين يؤمنون بها وهذه وظيفة الديانات، فهو ينطلق من الممارسات الجماعية للطقوس الطوطمية، هذه الممارسات الجماعية تؤدي إلى إنتاج مشاعر وانفعالات جماعية (الهيجان الجماعي) تجعل الأفراد ينخرطون في فعل جماعي وطقوسي يتوحدون داخل هذه الممارسات الدينية.

يمكن القول على أن إميل دوركايم اعتبر مسألة الدين هي مسألة ضرورية لتوحيد الأفراد وتحقيق التضامن والانسجام بين الأفراد والجماعات.



## رؤية فيبرية لدين:

يعتبر ماكس فيبر من مؤسسي علم الاجتماع الأديان لكتابه الكثيرة حول الدين نذكر على سبيل الحصر (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) وكتابه (سوسيولوجيا الأديان) ان ما حاول ماكس فيبر من خلال مقارنة الأديان ليس التأويل الإيديولوجي للأديان، وإنما ذلك الفعل الذي ينتج تبعاً للتأثيرات التي تولدها الديانات على سلوك الأفراد وأفعالهم وتعطيهم معنى يستحق التحليل.<sup>2</sup>

فدراسة الدين تهدف إلى الكشف عن الحوافز التي تدفع الفرد إلى الفعل معتبراً على أن أخلاق الدين المسيحي وتحديدًا البروتستانتية ساهم بشكل كبير في ظهور الرأسمالية، فبروز هذه الأخيرة كان له ارتباط وثيق بالقيم والأخلاق والثقافة الدينية، وهنا يظهر اختلافه مع كارل ماركس الذي يعتبر أن العامل المادي ساهم في بروز الرأسمالية بينما ماكس فيبر أن ما هو مادي والدين البروتستانتية ساهم إلى حد كبير في ظهور الرأسمالية.

معتبراً بذلك بان الديانة البروتستانتية تعمل على تحفيز الفرد على العمل الجاد والمثابرة على عكس الدين الكاثوليكي في نظره هو أكثر هدوءاً ولا يحفز على الكسب والعمل.

في سياق مقارنته للأديان تناول الدين الإسلامي في كتابه سوسيولوجيا الدين واعتبر أن الدين الإسلامي يتعارض مع الروح الرأسمالية، وبالتالي لا يمكن أن يحقق التنمية الحديثة فالتاجر المسلم أو الحرفي أو الحمال لهم نفس الحماس الذي عند البروتستانتية وبالتالي الدين الإسلامي يتعارض مع العقلانية.

إن فيبر هنا استعمل وسمى بالديانة البروتستانتية واعتبرها هي السبيل لتحقيق التنمية وتعمل على تحفيز الفاعلين للقيام بأنشطة اقتصادية عقلانية على عكس باقي الأديان.

إن قراءتنا للمساهمتين التي قدمها كل من ماكس فيبر وإميل دوركايم لمفهوم الدين، وما جاء به من أفكار تخص الموضوع الذي نحن بصدد دراسته نلمس ونبحث في عمق الإسهامات، نجد أن الدين يمارس على الأفراد نوع من السلطة، وبالتالي فالذي يمتلك الدين هو من يمتلك السلطة وهذا ما سنحاول الخوض فيه لدراسة مقارنة حول الدين والسلطة.

## الدين والسلطة:

إن جدلية العلاقة بين السلطة والدين قائمة على مر التاريخ، وكلامها يحقق الأخر، فالسلطة هي ظاهرة اجتماعية اهتم بها الإنسان منذ القدم إلى عصرنا الحاضر ولكن هذا الاهتمام يختلف من عصر لآخر. ويمكن تعريف السلطة بصورة عامة بأنها القدرة على ممارسة بعض الوظائف لخدمة نظام اجتماعي بالجملة.

وهي أيضاً قدرة وحدة اجتماعية "تنظيم جماعي" على ضمان تنفيذ الالتزامات عندما تكون هذه الالتزامات قد اكتسبت صفة الشرعية، ولكنها تعتبر أهداف جمعية بحيث يعاقب من يمتنع عن القيام بها، وبغض النظر عن الهيئة التي توقع العقاب.

وقد بدأ الاهتمام بالسلطة بشكل واضح منذ أكثر من نصف قرن تقريباً، وكانت تعرف باسم الضبط الاجتماعي مع إميل دوركايم. إن السلطة تعد ضرورية ولا بد منها لتحقيق التوازن والاستقرار داخل البناء الاجتماعي، فهي جزء لا يتجزأ من أي نظام اجتماعي.



ويعتبر أن النظام هو السلطة في ممارستها، ذلك لأن السلطة تلازم البناء الاجتماعي ولا تنفصل عنه. ويعرف ماكس فيبر السلطة أو السيادة: بأنها نوع من القيادة التي تعمل لإيجاد طاعة أو انتماء عند أشخاص معينين. وقسم السلطة إلى:

- 1- السلطة التقليدية: وهي تستمد وتعتمد على التقاليد من خلال تقديسها.
- 2- السلطة العقلانية: وتستمد شرعيتها من القانون، والخضوع للقانون وفي الديمقراطية الحديثة نستطيع أن نقول إن الذين يمارسون السلطة يمارسونها وفقا للدستور وتقوم على الاعتقاد العقلاي الرشيد.
- 3- السلطة الكاريزمية: والشخص الكاريزمي هو الشخص الذي يمتلك خصائص خارقة أو ما يسمى القائد الكاريزمي هو مبعوث العناية الالهية ويحقق الخيرات لشعبه. وتعتبر السلطة ظاهرة اجتماعية طبيعية في البناء الاجتماعي<sup>3</sup>. ويعتبر الدين من أحد العوامل المحفزة للوصول إلى السلطة، فدراسة الدين والسلطة يجب أن يكون في سياق التغير الاجتماعي بمعنى وضعهما في سياق التغير الاجتماعي، فمن يمتلك الدين بسرعة البرق يمكن أن يحقق السلطة خصوصا بالمجتمعات التقليدية. فالدين يلعب دور حاسم في بناء السلطة ووسيلة لتحقيقها وفي ضبط الأفراد فمن خلاله تتحقق المقاربة الأمنية، وكسلطة عليا بأعلى مستوياتها وفي مجتمعنا المغربي لولا الدين لما استطاع المخزن تحقيق السلطة.

كما لعبت الزوايا والأضرحة كفاعل ديني في استقرار السلطة بالمغرب لعدة سنوات، خصوصا ما بعد المرحلة الكولونيالية. وقد تراجعت في الآونة الأخيرة وتم تحديثها بظهور فاعلين جدد حلوا محل الزاوية وهي الأحزاب السياسية التي احتضنت خلفها المخزن لضمان بقائه.

### الدين والسياسة

السياسة أصلها من فعل ساس، وساس الأمر هو بمعنى قام به وتدبره فسياسة أمر وتدبره يعني جعل الأمر متجددا ومتغيرا وليس راكدا. فالسياسة لا تستوي إلا في مجتمعات أو مجتمعات قادرة على التجدد ولها القدرة على التغيير. ففي اللغة الفرنسية نجد كلمة polis بمعنى الحاضر.

كما تعني مصطلح السياسة إستراتيجية أو مخطط أو مجموعة من الوسائل وتصرفات ممنهجة ولها تخطيط مسبق وعلى سبيل المثال، يمكن اعتبار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية مثلا لسياسة العامة وهدفها هو الرفع وتحسين وضعية الأفراد الذين يعيشون وضعية هشّة أو وضعية إقصاء.

هنا يتضح بأن السياسة في بعدها تحمل نوع من السلطة أي من يمتلكها يمتلك السلطة. فهي ظاهرة اجتماعية توجد بجميع المجتمعات على مر العصور والحضارات. وعلاقة السلطة بالسياسة هي علاقة تفاعلية فيما بينهما بحيث كل واحد يكمل الآخر.

كما يعتقد كل من (ماكس فيبر وهارولد لاسويلو روبيير داهلو رايون جورج بيرد...)، أن ظاهرة السلطة والظاهرة السياسية ملازمة لكل مجتمع منظم. ويعتقد جورج بيرد أن الطبيعة السياسية هي كل ما يرتبط بكل فعل أو تصرف أو حالة ما، بكونها تكريسا لوجود علاقات سلطة وانصياع داخل مجموعة بشرية معينة، وذلك من اجل هدف موحد.



في قراءة لشان المغربي بعد الاستعمار الدين ارتبط بالسلطان، ولم يرتبط بالنخب السياسية، وهذا مارده إلى مجموعة من العوامل والتحويلات التي شهدتها المشهد الديني والسياسي بالمغرب قبل وبعد المرحلة الكولونيالية. فالذي غاب عن وعي النخبة ضمن استراتيجياتها هذه هو أن عملها هذا سينعكس عليها بعد الاستقلال. فحقل السياسة أصبح مجالاً غير محدد المعالم وخاصيته الأساسية هي انه حقل لتأكيد الخضوع الديني للسلطان ونفي أية منافسة له.

### المحور الثاني: تحديد الفاعل الديني التقليدي ووظائفه وأدواره

#### تحديد مدلول الفاعل الديني التقليدي

الفقيه هو المشارط، والطالب وهي كلها تسميات لمعنى واحد يحيل على الشخص المكلف بتدبير المجال داخل دوار معين بناء على تعاقد بينه وبين "أجماعه" يضمن حقوق وواجبات كل طرف.<sup>4</sup> في بعض القبائل يتم وضع حد فاصل بين "الشريف" و"الصالح" وهذا المشارط، فالأول يتوفر على رأسمال رمزي مهم يرتبط بالشرف والصلاح فيما الثاني يتوفر على رأسمال متواضع يقتضي التفاوض معه في مستوى التعاقد الذي يربطهم به. فالشريف لا يناقش ويتم العمل بنصائحه وتعليماته ويجري قبول تحكيمه دائماً، فيما المشارط لا يسمح له أحياناً التدخل في أمور "أجماعه" فهو يعمل لديها. ولا حق له في تجاوز مقتضيات الترتاب الاجتماعي وان كان يتوفر على مشروعية دينية تؤهله على تدبير المقدس.

يكتسب المشارط تسميته أساساً من الشرط، حيث تربطه شروط قابلة للتفاوض مع "أجماعه" والذي يكون غالباً خارج القبيلة فهو من جهته مختص بإقامة الصلاة وتعليم الأطفال أصول القراءة والكتابة إلى ما ذلك، وهذا خاضع لأساسيات التعاقد الأولى. إلا انه يقوم بكتابة "السبب" و"الحروز" وصرع الجن في حالات أخرى ومداواة بعض الأمراض، فهو بذلك يعد فاعل أساسي داخل المجتمع يستعصي التخلي عنه. إما من ناحية "أجماعه" فهي تتكلف بتوفير المأكّل والمرقد للفقيه، كما تمكنه من عائد سنوي متمثل في محصول الأرض المخصصة للمسجد، وتضاف إليها الهبات غير التعاقدية والتي ترتبط بالزيارة. إن الفقيه مسؤول من "أجماعه" ويتوجب في كل حين الاهتمام به، والسؤال عنه خصوصاً إذا اثبت كفاءته في تحفيظ القرآن والإفتاء والإبراء... يتضح أن هذه الأدوار المنوطة بالفقيه لازالت قائمة داخل المجتمع المغربي خاصة في المجال القروي.

الصالح: يعتقد في حقهم أنهم مقربون من الله ولهم درجة خاصة تؤهلهم ليقوموا بدور الوطاء. ويحملون البركة الإلهية لأتباعهم وذلك أن البركة قوة روحية تمكن من يملكها من اكتساب درجة من الولاية، وهناك من الصلحاء من يمثلون امتداد لزوايا الموجودة كما هو الحال في مراكش.<sup>5</sup> يعتبر البعض الصالح كائناً له قدرات خارقة على اعتبار مصدر تلك القدرات من البركة الإلهية، ويمكن للصالح أن يكون محلياً يمارس نفوذه في قرية واحدة، وهناك منهم من يمتد تأثيره إلى القبيلة كلها أو عدة قبائل وهذا التأثير يكون دائماً محدوداً.

هناك بعض القبائل في شمال إفريقيا يضعون صلحائهم في مرتبة أعلى من السلطان نفسه الذي يحظى قبل كل شيء بقيمة دينية كبرى، حيث تمتد ولاية الصالح إلى كل من يحيط به من أشخاص وفي مقدمتهم المقدم، فلكل صالح حي مقدمه الذي يعتبر ملازمه وخادمه الحقيقي، يهتم بكل شؤونهم وينظف زاويته أو مغارته، بل يبعث الحماس. في الإلتباع عند الضرورة. وعند وفاة الصالح يصبح المقدم الحارس المقيم على الضريح ويتوارث هذه المهمة أبا عن جد ويأخذ كل ما يوجد به الزوار.<sup>6</sup>



نجد في بعض الكتابات تمييز بين الولي والصالح إذ يبدو الأول كشخص يرفض "السياسي" ليتفرغ فقط للمقدس. بينما الثاني يحاول أن يزاوج بينهما، إضافة إلى كونهما يختلفان في مسالة مجال الممارسة الدينية، فإذا كان نشاط الولي يمتد ليشمل حتى الحاضرة فان الصالح يقتصر في نشاطه على البادية.

الفاعل الديني كثيرا ما نجده في تعاون مع الفاعل السياسي الشيء الذي يجعل هذا الأخير يقوم باحتواء الزوايا والأضرحة عن طريق القيام باحتفالات مختلفة في مناسبات متعددة تنفق عليها مبالغ مهمة. وكثيرا ما تتضمن تنقلات السلطان زيارة لهاته الأماكن.

الوظائف التي يقوم بها الفاعل الديني داخل المجتمع

#### ✓ الوظيفة الدينية

##### تحفيظ القرآن الكريم

يعمل الفاعل الديني على تحفيظ القرآن الكريم لمن يرتاد زواياهم من أطفال ومريدين وطلبة، إذا كان الأطفال يبدؤون في سن مبكر بحفظ الحروف الهجائية يحفظون فاتحة الكتاب فسورة الناس، فسورة الفلق، ولا يزالون يوالون حفظ سور القرآن الكريم. كما يتم الاعتناء بالقرآن الكريم في دراسة القراءات القرآنية وتعليم الرسم القرآني، وهكذا يحفظ الطالب القرآن كتابة، رسما وضبطا، ويحفظ القراءات وقواعد التجويد، ثم يشرع في دراسة تفسير معاني القرآن الكريم، مستعينا في ذلك بما يحفظه من متون كالأجرومية والألفية، كما يدرس أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم القرآن.

#### ✓ الوظيفة الاجتماعية

كان الفاعل الديني يقوم بوظائف سامية في المجتمع المغربي خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، وهاته الوظائف لم تقتصر على المجال التعبدي والعلمي، كما سبق الإشارة إليه بل تعدت ذلك إلى المجال الاجتماعي فما هي أهم الوظائف الاجتماعية؟

##### التكافل الاجتماعي

يقوم الفاعل الديني بكل أنواعه بدور أساسي في تحقيق التكافل الاجتماعي بمختلف أنواعه، ونورد هنا بعض مظاهره كالمساعدة على الإيواء وإطعام الطعام. وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد اللطيف الشاذلي موضحا دور الزاوية في هذا المجال: "تمثل عمليات الإيواء والإطعام عنصرا أساسيا في الجهاز الصوفي ونخرج من قراءة نص التصوف بانطباع واضح قوامه أن حركة الصلحاء بشكل كبير وبأعداد كثيرة ومظاهر تلك الحركة متنوعة كانتقال القروي إلى المدينة أو انتقال الحضري من مدينة إلى مدينة، فلو لم يكن الأمن فيه قائما ولا الاستقرار دائما ما كانت لتتم البنية الاستقبالية التي تهيئ نظام الإيواء والإطعام المرتبط بجهاز التصوف وهو نظام تطوعي تكافلي مبني على التعامل بالمثل بكيفية توفر لكل مسافر من الصوفية إمكانية الاستفادة من بنية استقبال في أي مكان ذهب إليه"<sup>7</sup>. كذلك كان لهذا الفاعل الديني دور بارز في التصديق على المحتاجين وبتفريق ما يحتاجه الفقراء من المأكول والمشرب أما في القوت الحاضر فتطور دور الزاوية من الناحية الاجتماعية فلم يقتصر على إطعام الطعام وإيواء المحتاجين بل تعدت إلى توفير كل ما يحتاجه الإنسان الفقير من لوازم مدرسية عند الدخول المدرسي وتقديم دروس التقوية والدعم إضافة إلى إلقاء دروس توعوية في المجال الديني والاجتماعي.

#### ✓ الوظيفة السياسية:



## التحكيم والصلح

تتمثل هذه الوظيفة في القيام بدور التحكيم للفصل في مشاكل الأفراد والجماعات المحيطة بها، نظرا لما يرمز إليه الفاعل الديني من تجسيد للحقيقة والحق والعدالة الدنيوية.

ويتدرج عمله في هذا المجال من التوسط لتحقيق الصلح بين الأفراد إلى دور التوسط بين القبائل لحل مشاكلهم مع بعضهم البعض أو بين بعضهم مع ممثلي السلطة. بل وفي بعض الحالات يتدخل لتحقيق الصلح بين المتنازعين على السلطة فهو بذلك يشكل عامل استقرار وأمن لأنه يطفى نار الفتن والحروب الأهلية ويحقن الدماء ويؤلف بين القلوب المتنافرة والاتجاهات المتصارعة.

## الزاوية كمؤسسة حاضنة للفاعل الديني

يرجع الاهتمام بظاهرة الزوايا في المجتمع المغربي إلى الدور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي تقوم به، كونها لعبت دورا مهما في تاريخ شمال إفريقيا عموما، وفي المجتمع المغربي خاصة منذ القرن 19م. وما كانت تقوم به على المستوى التنظيمي الذي سيشكل بلا ريب إحدى الأشكال الأكثر أهمية فيما يتعلق بالسياسات الأهلية، كما أنها شاركت في عدة حروب، نظرا لشراسة أولئك الفاعلين الذين ينتمون إليها.

## مفهوم الزاوية

لعبت الزوايا دورا هاما في تاريخ المغرب، فهي مكان احتواء مجموعة من الفاعلين الدينيين وكذا السياسيين اللذين لعبوا دورا كبيرا في الخريطة السياسية للمغرب، رغم هاته الأهمية البالغة لازالت هاته المؤسسة التقليدية لحد الآن لم توضع في سياقها التاريخي الصحيح، بل أكثر من ذلك لم تنجز أعمالا نظرية متكاملة بصددتها.

نجد ضمن الكتابات التي ركزت على مفهوم مؤسسة الزاوية أنها لم تستخلص مفهوما عاما مركزا حيث غالبا ما كانت تقف عند حدود الوصف دون المرور إلى مرحلة التحليل والتعميق وفي هذا الإطار نجد نوعين من الأطروحات التي عالجت هذا الأمر:

الأطروحة الاستعمارية: مفادها أن الزاوية مؤسسة مناهضة للمخزن وأن تاريخ المغرب هو تاريخ الصراع بين الزوايا والسلطة المركزية.

الأطروحة الوطنية: مفادها أن الزوايا عبارة عن مؤسسة خاضعة للمخزن وان وجودها رهين بوجود السلطة المركزية التي تمنحها شروط وجودها واستمراريتها (نموذج عبد الله العروي)<sup>8</sup>.

وهنا سنحاول تحديد هذا المفهوم "الزاوية" باعتبارها مؤسسة دينية وسياسية لعبت دورا هاما في تاريخ المجتمع المغربي.

الزاوية لغة: زوي، الذي مصدر زوي والشيء يزويه زيا فانزوى نحاه وتنحى وزواه قبضة وزاوية الشيء جمعته وقبضه، الحديث يقول: "إن الله تعالى زوي لي الأرض فاربت مشارقها ومغاربها"<sup>9</sup> وزى الأرض جمعت، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا دنوا وتضامنوا، فالزاوية هي مفرد الزاوية.



إن الزاوية في شمال إفريقيا هي ما يطلق على بناء ديني شبيه بمؤسسة تعليمية، فالزاوية بهذا المعنى عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام تشتمل على بيوت للصلاة كالمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم العربية الإسلامية ومؤسسوها من رجال الدين.

لقد عرف المغرب الأقصى الزوايا وعرفوها نظرا لاهتمامهم الواسع بما باعتبارها دار الكرامة وسميت بما، بعد ذلك أطلق عليها المرينيين "دار الضيوف". ومنه عرفت الزاوية في المغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها المرید للذكر والأوراد وإسماعها للآخرين. وفي نفس السياق عرفها بعض الشيوخ بأنها "اسم لكل حجرة تجمع طائفة من الناس ذات مبدأ خاص ومقاصد خاصة"<sup>10</sup>.

وظاهرة انتشار الزوايا تعود إلى العهد التركي، فالإدارة العثمانية التي حكمت الجزائر طيلة ثلاثة قرون ونصف قرن (1516-1830) لم تسم اللغة العربية لغة الكتاب المقدس والدين الإسلامي، على اعتبار أن الأتراك يدينون بالإسلام وإن كانوا يستعملون لغتهم في إدارة شؤون البلاد. أما التعريف الإجرائي للزاوية فهي "ذلك المكان أو البيت أو المنزل الذي يحتوي على مجموعة من الغرف، واحدة للتعبد وتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه وأخرى للسكن والإيواء للغريب"<sup>11</sup>.

وفي الاصطلاح الصوفي: "الزاوية والرباط هما مركزان خاصان بمؤلاء السادة الصوفية للاستعداد للجهاد ومحاربة الكفار وأعداء الإسلام والمذاكرة في أصول الطريق والسنة النبوية الشريف"<sup>12</sup>.

من خلال هذا التعريف الاصطلاحي الصوفية يتضح أن الزاوية عبارة عن مؤسسة علمية تعمل على جلب الناس بالأوراد والذكر، ولم يقتصر عمل الزاوية على التربية الإسلامية الصوفية والحفاظ على المقومات الروحية لأتباعها بل سارعت إلى الخروج من نطاق مؤسسة الزاوية المحدود إلى المجال الاجتماعي الواسع إذ سنجد للزاوية عدة أدوار ووظائف داخل المجتمع المغربي.

#### نشأة الزاوية

انبثقت الزاوية انطلاقا من عدة مقتربات نخص بالذكر:

المقاربة السوسولوجية: تنشأ الزاوية في حالتين.

اعتماد "الطريقة" confrérie على بعض الصلحاء.

ارتكاز الصلحاء على الطريقة "confrérie"، الطريقة لها مجموعة من المميزات:

1. المناداة بتطبيق الشرع.

2. الرغبة في تجاوز النظام القبلي (توحيد المجتمع).

3. الارتباط بالمدينة غالبا.

لابد من توافر ثلاثة شروط أساسية:

- أصل شريفي.

- اعتماد قبائل قوية في لحظة تكون خلالها السلطة المركزية ضعيفة.

- توفر على مظاهر من التقوى والعلم في المؤسس.





## المقاربة الأنثروبولوجيا

تتميز هذه المقاربة باختلاف الأطروحات المنضوية تحت لوائها، ويمكن تصنيف هذه المقاربة ضمن أطروحتين أساسيتين منظورا إليهما من زاوية العلاقة بين مؤسسة "الزوايا" وعلاقة السلطة.

أطروحة الاندماج: تتمحور حول فكرة أساسية مفادها أن تاريخ المغرب هو تاريخ "الزوايا"، وأن الدول الكبرى التي قامت في ربوعه تأسست انطلاقا من "الزوايا". بل إن أطروحة الاندماج لم ترى أي إمكانية للوصول إلى السلطة إلا انطلاقا من الزاوية.

أطروحة التمايز: تذهب إلى كون "الزوايا" تنشأ انطلاقا من التناقض الحاصل بين المجتمع والسلطة. إن الزاوية ليست لحظة في تأسيس السلطة، كما تذهب إلى ذلك أطروحة الاندماج بل تتأسس في اللحظة التي يفقد فيها المجتمع ثقته في سلطة ما غير قادرة على توفير الأمن والعدالة، بمعنى أن الحاجة هي السبيل الأساسي في انبثاق الزاوية من أجل تحقيق رغبات ومتطلبات الأفراد.

إن المقاربتين السوسيوولوجيا والأنثروبولوجيا تلتقيان في كونهما يعتبران البداية الأولى للزاوية بداية دينية.

## المقاربة التاريخية:

تحدد المقاربة التاريخية اللحظة الزمنية التي انبثقت فيها مؤسسة الزاوية، إذ شهدت النور لأول مرة على يد المخزن الذي ساهم في دعمها وانبثاقها وتقويتها. وهكذا تصبح الزاوية كشكل من أشكال الممارسة السياسية والدينية متميزة عن أشكال أخرى من الممارسات. وتوحي هذه المقاربة أن الوظيفة الأساسية للزاوية هي "الجهاد".

يمكن توجيه عدة انتقادات لهذه المقاربة:

1. لا يمكن اعتبار أن الوظيفة الأساسية للزاوية هي "الجهاد".
2. لا يمكن اعتبار أن الزاوية بأية حال من الأحوال من خلق المخزن.<sup>13</sup>

المحور الثالث: المتغيرات الدولية والمحلية وعلاقتها بظهور الفاعل الديني الجديد1. البحث عن القيم في زمن المتغيرات

انقسم العالم على نفسه بشدة فوجدت المأساة العالمية التي تهاجم بعنف العلاقات بين الثقافات المختلفة والمذاهب والأديان والانتماءات السياسية والاقتصادية. وإذا تفحصنا بشكل محايد المعايير القانونية والنظريات السياسية والاقتصادية والقيم والصيغ الدينية التي توقفت عن الترويج لرفاهية البشر، نقف على أن التقدم الذي حازه الرجال والأولاد على حساب النساء والبنات قد حد بشدة إبداع المجتمعات وطاقاتها للتقدم، وأشعل تجاهل الأقليات الثقافية والدينية والتعصبات القديمة، وسحقت القومية المتطرفة، حقوق المواطنين في الأمم الأخرى. وتفجرت النزاعات في الدول الفقيرة، وأدت الفوضى والتدفق الهائل للاجئين إلى ضيق البرامج الاقتصادية التي تعمل على نشر الرخاء المادي، وخنقت الازدهار والتطور الاجتماعي والأخلاقي، وقد برزت مسألة القيم التي لها صلة وطيدة بأنظمة الدين والعقيدة، على المسرح الدولي كموضوع عالمي، وقد أقرت مجموعة من القرارات التي تعالج دور الدين في ترويج السلام وإزالة التعصب الديني فإنها تناضل من أجل استيعاب الدور، البناء الذي يلعبه الدين في خلق نظام السلام العالمي، وللتعرف على التأثير الكامل للمتغيرات ذات الصلة بالدين على الحكم الدبلوماسية وحقوق الإنسان والتطوير وأفكار العدل والأمن الجماعي لتفهم بصورة أفضل لم يتنبأ القادة بعودة ظهور الدين على الساحة الدولية بهذا الشكل الواسع. إن الأفكار



الموروثة عن الدين لا تمت للواقع بصلة وهي بمثابة صوت في المجال الدولي وحقيقة يمكن اعتبار أن الدور الملائم للدين يعد واحدا من أكثر القضايا الملحة في عصرنا.

إن النقاش حول الدين تقوده أصوات وأعمال المتطرفين، أولئك الذين يفرضون عقيدتهم الدينية بقوة، والذي يظهر أكثر ما يظهر في الإرهاب، لدى وفي هذا المنعطف فإن البحث عن القيم المشتركة وبمعزل عن تصادم الفئات المتطرفة هو عمل أساسي لعمل الفاعل.

وهنا ظهر التأثير على المتغيرات الدينية والإيديولوجية والثقافية على الدبلوماسية واتخاذ القرارات، وحتى تنجز وعود ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، يجب البحث على القيم المشتركة والمبادئ الأخلاقية التي سترفع من شأن المرأة والرجل بغض النظر عن الجنس أو الطبقة أو الدين أو الرأي السياسي، حيث تأسست النظم العالمية على مبدأ وحدة الجنس، ويؤكد الترابط الظاهر بين الأمن وحقوق الإنسان، على أن السلام والازدهار غير قابلين للانفصال.

### 1. حقوق الإنسان وحكم القانون

لا يمكن تأسيس نظام دولي فاعل وسلمي ما لم يتم ترسيخه على مبادئ العدالة وحكم القانون، حيث أن التمسك بهذه المبادئ يفضي إلى الاستقرار والشرعية الضروريين لكسب تأييد الشعوب والأمم الذي يهدف إلى خدمتهم إتباعاً لهذه التوصيات:

- إن التهديدات الناتجة عن التطرف الديني والتعصب والتمييز تتطلب المعالجة بشكل جدي.
  - يجب إعادة تأكيد شرعية الإصلاحات الهيكلية والوظيفية لآلية حقوق الإنسان من خلال التمسك بأعلى مبادئ العدل.
  - يجب على الجمعية العمومية أن تراعي وضع تسلسل زمني للتصديق العالمي على معاهدات حقوق الإنسان الدولية.
- ويجب أن يصبح مكتب المفوضية العليا لحقوق الإنسان المعزز بالأساس الأخلاقي والثقافي حامل الراية في مجال حقوق الإنسان وأداة فاعلة في تخفيف معاناة الأفراد والأقليات محرومة الحقوق.

### 3. الأمن الجماعي

إن التهديد للفرد هو تهديد للجميع، ويجب تحقيق الأمن والحماية لكل الأمم الراغبة في التنازل عن كل الحقوق لإبقاء الأسلحة عدا تلك اللازمة للحفاظ على الأمن الداخلي، ويجب الإصلاح في المواقف والسلوك، وتبني تعريف الإرهاب حيث عرفه الأمين العام بأنه أي عمل يقصد تسبب الموت أو الأذى الجسدي للمدنيين أو غير المقاتلين بغرض إخافة السكان أو إرغام حكومة أو منظمة على عمل أي فعل أو الامتناع عنه.

### 4. صورة المرأة المتدنية في خطاب الفاعل الديني السياسي المغربي

تحكم الهيمنة الثقافية صورة المرأة المتدنية إذ تكشف العلاقات بين الخطابات والمواقف الدينية لمختلف الفاعلين الدينيين الهيمنة والصراع على حيازة موارد الشرعية واستراتيجيات السلطة، وتبحث عن الآليات الاستمرارية والتقاطع بين مختلف أنماط التدين. فيما يخص قضية المرأة ودورها الديني والسياسي وهويتها، هناك تواطؤ بين التغيرات الثقافية والاجتماعية المحددة لصورة المرأة المتدنية في ارتباطها بصراع إرادة السلطة والشرع، والفاعل الديني يفرض هيمنته على الفعل الاجتماعي من خلال التحكم في التدين النسائي.

### 5. المرأة في تمثالات الإسلام التقليدي والشعبي

أ. صورة المرأة بين الأنوثة المقدسة والأنوثة المدنسة



لقد رسم المتخيل الديني التقليدي للمرأة صورا مختلفة حيث نجد فيها تقاطعا كبيرا بين ما هو اجتماعي وما هو ديني إذ يمكن التمييز بين الأنتى المقدسة كما تجسدها معتقدات الأرض الأم وما يرتبط بها من طقوس الخصوبة، والأنتى المدنسة التي تستحضر الثنائيات الميثولوجيا القديمة وأساسها قصة الخلق الأول. فالأنتى المقدسة مرتبطة بعقائد المجتمعات القديمة وأديانها التي تحولت إلى روايب في تراث المجتمعات القبلية ذات الامتداد الأمازيغي حيث تختزن أنساقا ثقافية تحيل على مرجعية المجتمعات الأميمسية، وفي هذا التراث تحتل المرأة قطب الرحي، وتتمثل القيمة الإيجابية للمرأة في إشرافها وحضورها كفاعل في مجموعة من الطقوس والممارسات الشعبية الموظفة لاستجلاب الخير والبركة.

وتجسد صورة الأنتى المدنسة رؤية المجتمعات البدوية الرعوية، وعمادها حكاية الخطيئة الأصلية التي ارتكبها ادم وعوقب في أثرها بالطرء من الجنة بسبب سقوط حواء في إغراء الشيطان، والمشارك بين الميثولوجيا الدينية المختلفة، تحميل حواء مسؤولية هذه الخطيئة، وتمثل هذه الحكاية أسطورة المؤسسة لبداية إدانة المرأة واحتقارها حيث يرتبط ذكر المرأة بالشيطان أو الحية.

وختاما تقوم كلتا الصورتين على خلفية مرجعية محددة:

✓ فصورة المرأة المقدسة تؤسسها ثقافة المجتمع فهي رمز الأرض والزواج الإنساني والعمل الزراعي.<sup>14</sup>

✓ أما صورة المرأة المدنسة فتؤسسها خلفية المجتمع البدوي القائم على مبدأ النسب الأبوي الممتد سلاليا المكرس لقيم الشرف والنبل<sup>15</sup> واستنادا إلى النص الديني التي منحت الذكر قوة رمزية متعالية بوصفه ظل الله على الأرض. والمستخلف فيها، وأصل الخلق، والقوام على المرأة.

ب. المسألة النسوية في الخطاب الديني الرسمي وازدواجية المرجعية:

عملت السلطة على صياغة خطاب نسوي، يعيد السلطة ضمن مشهد عام يرتكز لإستراتيجية نبوية تروم التحكم في مدخلان الصراع السوسيوسياسي ومخرجاته. فمثلت المرأة مدخلا رئيسيا إلى السلطة لممارسة وظيفتها التحكيمية التحكيمية في المجال العام، فاتجهت السلطة إلى الانخراط في مسار التحديث والتغيير الاجتماعي لقضايا المرأة (خاصة العلاقة بين الجنسين التي اتجهت نحو الانفتاح وإقامة علاقات خارج مؤسسة الزواج) ضمن إطار قيمي ينضبط للثوابت الأيديولوجية التاريخية للحقل الديني الرسمي ويشتغل وفق آليات الثقافة السياسية التقليدية، وقد أولت الملكية فضية الأسرة والمرأة عناية خاصة منذ الحصول على الاستقلال وحرصت على اتخاذ موقف تتعايش بموجبه مطالب الحركة النسائية الحقوقية مع مصادر مشروعيتها الدينية مع العلم أن الدستور نص على مبدأ المساواة بين الجنسين، ومثلت عملية تقنين أحكام الفقه الإسلامي، في مدونة عصرية جامعة ومرتبة لقضايا الأسرة سنة 1957.<sup>16</sup>

## 6. مأسسة التدين النسائي وأبعاده، تأنيث الفاعل الديني

أول مشروع إصلاح الحقل الديني الذي انخرط فيه المغرب منذ سنة 1999 هو إشراك المرأة في تدبير الشأن الديني، وتقوم هذه السياسة على اعتماد مبدأ المساواة.

في بناء المرجعية الدينية بتكوين نخبة دينية نسوية تقوم بالمهام الدينية والعلمية، فقد برعت المرأة في المجال الفقهي في ميدان الوعظ والإرشاد بضبطها لحفظ كتاب الله تعالى وقد ولجت هذا الباب منذ 2012، ويشترط أن تتوفر على تكوين في هذا الباب فتخرجت من معهد خاص، حيث تقوم الواعظة بتلقين دروس متنوعة لنشر الفكر المتنور والاعتدال في السلوك الاجتماعي. وتغيير طريقة تفكير الناس خلال التعامل مع الأزمات الأسرية وتفقههم في الدين.

وتساهم في النشاط الثقافي والاجتماعي للمساجد وكذا المؤسسات التعليمية ودور العجزة والسجون وغيرها وإصلاح ذات البين مع الحفاظ على الوحدة الدينية للمجتمع وتماسكه ضمن توابث الأمة.



الوعظ والإرشاد هو وسيلة للنفوذ إلى القلوب لتنتقل من حالة الغفلة إلى حالة الذكرى. وهو زجر مقتزن بالتخويف لهداية الضال إلى الطريق المستقيم وكذلك وسيلة لتقوية العاطفة الإيمانية عند الناس، ووظيفة ربانية تساهم في حركة التدين لدى المسلم. ولنجاح هذه المهام لدى المرشحات الدينيات يجب أن يتوفرن على تكوين لا ينبغي أن يكون أقل من الإجازة في تخصصات معينة. وتظل الكفاءة العلمية المواكبة للخبرة والانتزان في الطرح والاستيعاب الجيد لمنهج الإسلام الوسطي في التغيير. أما فيما يخص ولوج برنامج محو الأمية بالمساجد فنجد المرأة قد برعت فيه وأظهرت على كفاءتها العلمية والمعرفية والثقافية والمهنية، ومؤطرات البرنامج يتكون من المنسقة التربوية الوطنية، المنسقة التربوية الجهوية، المنسقة التربوية الإقليمية، المستشار التربوية الإقليمية ومؤطرة الدروس. كل يبدع في مجال تخصصه بروح المسؤولية والتواصل البناء والفعالية والإبداع وعلى سبيل المثال مؤطرة الدروس يجب أن تتوفر فيها مواصفات وكفايات حددتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ك:

- ✓ التحلي بالأخلاق الحميدة.
- ✓ الالتزام بتوجيهات واستراتيجيات الوزارة.
- ✓ الالتزام بالثوابت الدينية للأمة الإسلامية.
- ولها مهام تربوية تخدم البرنامج فالمؤطرة:
- ✓ مشاركة في التعبئة الاجتماعية على شكل حملات تحسيسية بأهمية البرنامج.
- ✓ منفذة لمضمون الوثائق والتوجيهات الوزارية.
- ✓ منشطة ومسهلة للتعلمات.
- ✓ مؤطرة لمختلف مراحل العملية التعليمية التعلمية.
- ✓ مدبرة للفضاء والزمن التعليمي.
- ✓ معدة وموظفة ومستثمرة للعدة التربوية.
- ✓ داعمة ومحفزة ومشجعة للكفاءات وإبداعات المستفيدات.

حيث ساهمت على الخصوص في تنوير عقول النساء وإخراجهن من الظلمات إلى النور.<sup>17</sup>

فهنا المرأة أدمجت في الحقل الديني المؤسساتي ووصفت شريك وليس تابعا أو مهيمنا عليها. وهذا يدخل ضمن أهداف إسلام الدولة الساعية لضبط الحقل الديني لرسمي وإدماج التدين النسائي ضمن الجهاز البيروقراطي، أي إدخال نشاطاته المتزايدة ضمن دائرة الهيمنة لاحتوائه تحت مظلة أمير المؤمنين ومراقبته والحيلولة دون وقوعه في يد الإسلام الحركي المنافس.<sup>18</sup> فمنح للمرأة موقعا هاما في أداء دور سلطوي محدد، بتجنيدتها لخدمة النظام السياسي غير التأطير المؤسساتي للتدين النسائي في الحدود المرسومة من المنظومة المهيمنة حيث تمت إعادة هيكلة المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية وتنظيمها بما يضمن إشراك المرأة المتفقهة في هذه المجالس، إنصافا لها، ومساواة مع الرجل وتأتي هذه المبادرة لضمان انحراط المرأة في الشأن الديني ضمن أطر الشرعية الدينية للسلطة، ويتأكد ذلك في منطوق نص الظهير الشريف رقم 300-03-01 الصادر في 22 نيسان/ أبريل 2004 المتعلق بإعادة تنظيم المجالس العلمية.

## 6. مؤسسة إماراة المؤمنين في المغرب

إن دستور 2011 بالمغرب، يعتبر حدثا سياسيا متقدما مقارنة بما قبله خاصة على مستوى فصل السلطة وتوازنها وحدودها الأمر الذي انعكس إيجابيا على التداخل بين صفتيه كملك دولة وكأمير للمؤمنين وارتقى إلى الربط بين مؤسسة أمير المؤمنين والمجلس الأعلى للعلماء غير أن علاقة الدين بإدارة الدولة في التجربة المغربية هي أعقد وأوسع من نصوص الدستور بما في ذلك محورها الرئيسي (إماراة المؤمنين).



وقد نص الدستور على مؤسسة إمارة المؤمنين في إطار استقلال مشروط بأوقاف مازالت سرية حتى اليوم، في حين نلاحظ كيف أن مؤسسة السلطان في ظل الاستعمار لم يكن يتجاوز اختصاصها قضايا الحقل الديني دون المدني السياسي.

إن ما يحيط بمؤسسة أمير المؤمنين من طقوس وممارسات خاصة بمناسبة البيعة تتجاوز النص المكتوب مهما كان تقدمه بل نلاحظ أن الخطاب الديني حول إمارة المؤمنين يزداد إغالا.<sup>19</sup>

وقد يمنح لأمير المؤمنين معنى ديني يتم استعماله داخل حقل سياسي في خطاب ملكي موجه إلى مجلس النواب يضيفي الملك الشرعية على السيادة الملكية بالعبارات التالية: [يقول الله تعالى في كتابه العزيز "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" سورة التوبة الآية 105].

يمكن لأمير المؤمنين التحرك تبعا للقران الكريم والسنة فإذا لم يكن الملك بإمكانه التدخل فإن أمير المؤمنين بموجب الكتاب والسنة يحق له ذلك وإن واجب الإحالة على السنة لا يعود إلى الملك الدستوري بقدر ما يعود إلى أمير المؤمنين فهذا هو الذي يؤسس دوره الديني وبعد اعتلاء محمد السادس عرش البلاد بدأت مظاهر القداسة الملكية تظهر جليا واستعمل إمارة المؤمنين باعتبارها دورا دينيا بهدف تسوية النزاع السياسي داخل الشأن الديني وجاء في الفصل 41: [الملك أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين والضامن لحرية ممارس الشؤون الدينية. يرأس الملك أمير المؤمنين المجلس العلمي الأعلى الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه]<sup>20</sup>.

### 7. التصوف السني والفعل الديني

الصوفية أو التصوف هو مذهب إسلامي وهو منهج يسلكه العبد للوصول إلى الله ومعرفته والعلم به وذلك عن طريق اجتناب المنهيات وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وتحليه بالأخلاق الحسنة، وهذا المنهج يقولون أنه يستمد أصوله وفروعه من القران والسنة النبوية واجتهاد العلماء. فهو علم كعلم الفقه له مذهب ومدارسه وأئمة الذين شهدوا أركانه وقواعده كغيره من العلوم جيل بعد جيل حتى جعلوه علما سموه علم التصوف والتاريخ الإسلامي زاخر بعلماء التصوف مثل محيي الدين بن العربي، جلال الدين الرومي، الغزالي، العز بن عبد السلام وصلاح الدين الأيوبي. وربما لا تأتي بالجديد إذ عدنا إلى تاريخ الزوايا والطرق الصوفية بالمغرب، والذي جسد مرحلة مهمة في ضمان تماسك النسيج المجتمعي على الأقل في الدولة العلوية، وإذا توقفنا عند الباحث الأنثروبولوجيا الأمريكي كليفورد غيرتز 1993 والذي تحدث في كتابه الشهير (الإسلام ملاحظا) عن الدور الحيوي الذي قامت به الزوايا، والطرق الصوفية بالمغرب، انه في الفترة العلوية تأسست العديد من الزوايا كالناصرية والكتانية وغيرها. وكذا الباحث جورج اسيلمان 1951 والمعروف بجورج دراك، وقد شكل حضور التصوف ثقافة ذاتية في مخيال ووجدان المجتمع إلى الحد الذي دفع بالباحث إنستغليز "مجتمع مسلم 2005" للحدث عن التصوف كنظرية ومصطلح وتقنية للقيادة تستخدم بشكل عام في القبيلة أو القرية.

وإذا وقفنا على أهمية الزوايا فهي ساهمت في تجديد دماء الفاعل الديني الصوفي، بتجميع الزوايا وتسهيل عملية إدماجها، وإعادة إحياء الأدوار التربوية والروحية التي يمكن أن تقوم بها الزوايا. وقد توسع المجال ليضم كل متصوفي العالم. وربط الجسور مع العمق الإفريقي للمغرب وإشاعة النفس من التزكية والروحانيات على تدين المغاربة ويمكن أن نستدعي في هذا السياق، الدروس الافتتاحية التي يلقيها منظر التصوف بالمغرب والفاعل الحكومي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية، والتي تذهب في اتجاه ترميم وتعزيز قيم التصوف باعتبارها المخرج من مأزق الحداثة وما بعدها.



## خاتمة:

تعد الهوية الدينية للمرأة في منظور خطابات الفاعلين الدينيين المغاربة ومواقفهم، بناء سوسيوثقافيا مصبوغا بالدين، يحيل على إرادة الهيمنة الذكورية على الهوية الدينية للمرأة المغربية باسم المقدس والشعري والديني، ليعيد إنتاج التقاليد الأبوية بواجهة عصرية. ويمثل تدين المرأة للاشتغال يسمح بالكشف عن صراع إرادات السلطة وتنازع المشروعات المتوارية خلف الخطاب الديني لتبرير وجودها وفرض هيمنتها على العمل الاجتماعي للمرأة.

ورغم كل هذا فإن مشروعية أي خطاب نسوي، يفرض انطلاقه من نسق الخطاب الفقهي بمتونه ومحددات مشروعيته ولكن الخطاب النسوي داخل هذه الخطابات الدينية، مازال عاجزا عن تقديم رؤية إصلاحية مؤسسة لقيم العدالة والكرامة والمساواة بين الجنسين، بل يعيد إنتاج النسق التراثي للخطاب الديني الشعبي بأدوات الفقه وتأويلاته.

إن ما يمكن نسجه من العلاقات بين السلطة والسياسة والفاعل الديني من جهة أخرى، فهذا الأخير يعتبر محرك ومحفز لقيامهما داخل أي بناء اجتماعي فالمؤسسات السياسية والاجتماعية هي خاضعة لشيء اسمه التأثير الديني وتوظيف الدين هو إيديولوجيا واتخاذ كمرجعية سياسة وكنمط تقليدي لتحقيق المشروع والسلطة.

كما أن مؤسسة الزاوية لازالت قائمة داخل المجتمع المغربي فقط تم تغيير الشكل إلا أن المضمون وطريقة الاشتغال لازالت متوغلة وبشدة، حيث أن التركيبة السياسية الحزبية لها علاقة وثيقة بالزاوية حيث أنه يُرجح بشكل كبير أن الأحزاب السياسية لمغرب اليوم هي امتداد لحكم الزاوية الذي امتد عبر مسارات تسيير الشأن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمغرب.

## الهوامش:

- 1 عبد الله عبد الرحمن يتيم (2014م) "إميل دوركايم، ملمح من حياته وفكرة الانثروبولوجي"، مجلة إضافات"، العدد/52"، 2014م"، ص 34.
  - 2 إكرام عدني، "سوسولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر" بيروت مركز الإنماء القومي، ص 16.
  - 3 عبد الله عبد الرحمن: تطور الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ط 1999، ص 378.
  - 4 عبد الزحيم العطري، الرحامنة "القبيلة بين المخزن والزاوية"، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، ص 102.
  - 5 عبد الحكيم أبو اللوز، الحركات السلفية في المغرب «بحث أنثروبولوجي وسوسولوجي»، مركز الوحدة العربية، الطبعة الثانية، ص 233.
  - 6 ادموند دوتي، "الصلحاء" ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 36-37.
  - 7 عبد اللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع "نماذج من القرن العاشر الهجري"، مطابع، سلا 1989، ص 134.
  - 8 محمد ظريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى، 1992، ص 11-12.
  - 9 ابن منظور: لسان العرب الجزء الثالث، دار الجبل، بيروت ص 986.
  - 10 احمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثمانيين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نونبر 1954، الجزائر ص 150-151.
  - 11 صبريا ابوغرارة: دور الزوايا في الحفاظ على الحياة الدينية والثقافية (1830-1962) "الزاوية التجانية التماسنية نموذجاً"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، ص 12.
  - 12 غزلان جنان، الزوايا في المغرب "دورها ووظائفها"، يونيو 2015. <https://machahid24.com>
  - 13 محمد ظريف، مرجع سابق، ص 22-23.
- <sup>14</sup> Mircca Eliale, Aspects du mythe (Paris Ed Gallimard 1963) pp. 228 - 229.
- <sup>15</sup> Paul Pascon, Etudes rurales idées et enquêtes sur la campagne marocaine (Rabat Société Marocaine des éditeurs Reunis 1980) pp 189 - 212.



- 16 صدرت هذه المدونة على شكل أجزاء/ محمد حلال "ثلاثون سنة من العمل بمدونة الأحوال الشخصية" مجلة الميادين العدد 3، (1988)، ص 25 - 27.
- 17 المنهاج التربوي، برنامج محو الأمية بالمساجد وبواسطة التلفاز والانترنت، طبعة 2018.
- 18 مجلة عمران، العدد 24 (ربيع 2018)، ص 26-47.
- 19 دكتور الصمد بلكير، 26 نونبر 2012/14/30.
- 20 دستور المملكة المغربية لسنة 2011، الباب الثاني.